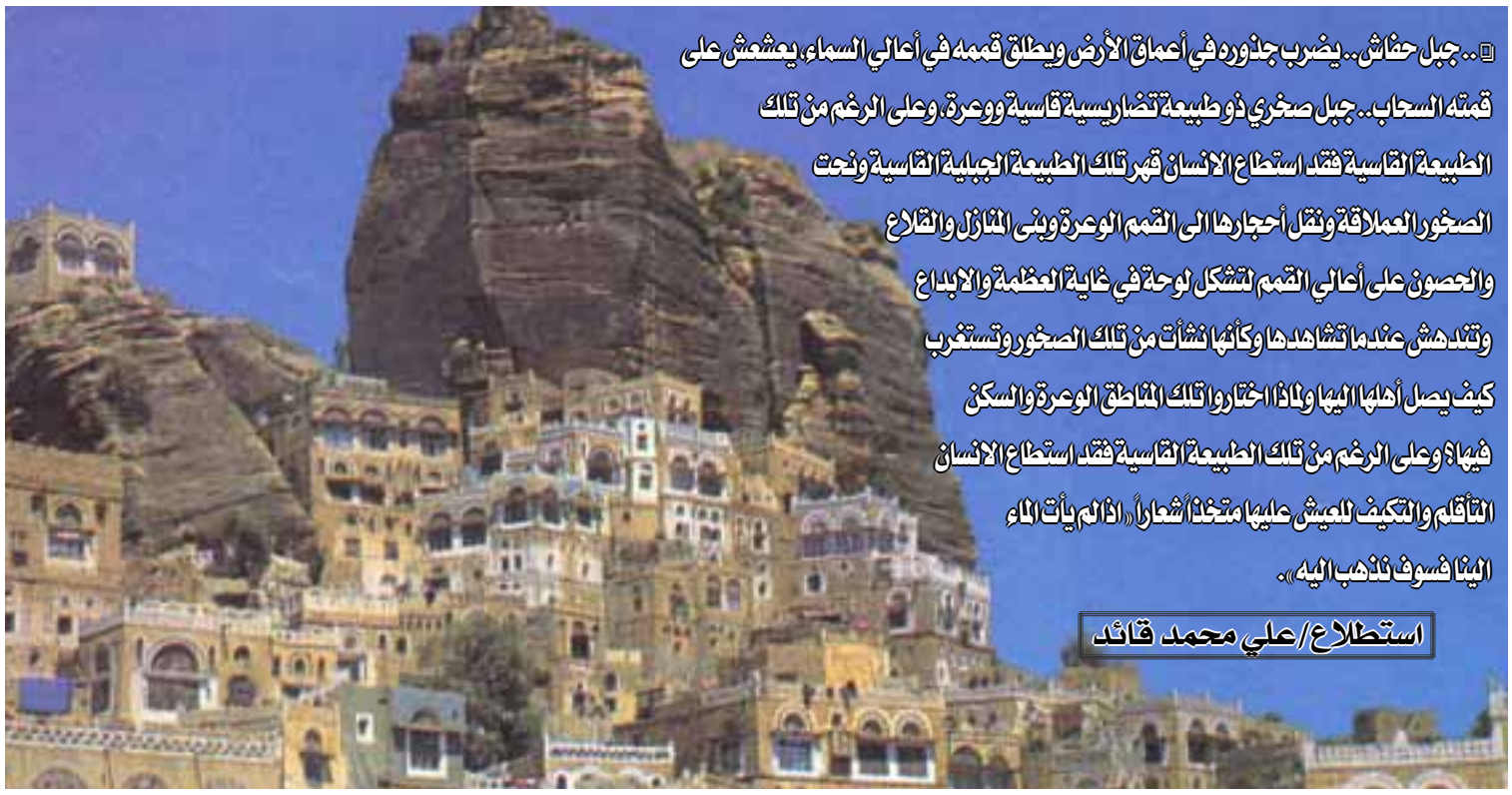

..جبل حفاش.. يضرب جذوره في أعماق الأرض ويطلق قممه في أعالي السماء، يعشعش على قمته السحاب.. جبل صخري ذو طبيعة تضاريسية قاسية ووعرة، وعلى الرغم من تلك الطبيعة القاسية فقد استطاع الانسان قهر تلك الطبيعة الجبلية القاسية ونحت الصخور العملاقة ونقل أحجارها الى القمم الوعرة وبنى المنازل والقلاع والحصون على أعالي القمم لتشكل لوحة في غاية العظمة والابداع وتندهش عندما تشاهدها وكأنها نشأت من تلك الصخور وتستغرب كيف يصل أهلها اليها ولماذا اختاروا تلك المناطق الوعرة والسكن فيها؟ وعلى الرغم من تلك الطبيعة القاسية فقد استطاع الانسان التأقلم والتكيف للعيش عليها متخذاً شعاراً «اذا لم يأت الماء الينا فسوف نذهب اليه».

استطلاع/علي محمد قائد

# جبل حفاش.. أسطورة الطبيعة المدهشة وعظمة الانسان

يواجه جبل حفاش الشامخ جبل المحويت من ناحية الغرب وكأنه بشموخه يحمي مدينة المحويت الساحرة الجمال وبمدها بالعظمة والثبات، وعندما تكون في مدينة المحويت فإن ما يواجهك من ناحية الغرب هو جبل حفاش فقط ولا تشاهد شيئاً سوى السماء والسحاب لكبره وعلو ارتفاعه واتساع عرضه حيث يطيب لك مشاهدة القرى بلون بيوتها الأبيض متناثرة على جنبات الجبل كأنها حبات اللؤلؤ معلقة على عنق فتاة حسناء وفي الليل تشاهد تلك القرى والمصابيح تعطيها منظراً سحرياً وكأنها النجوم تتلألأ في السماء وكيف لا؟ وذلك الجبل بعلوه وشموخه وكأنه ملتصق بالسماء حيث تلتقي النجوم بمصابيح تلك المنازل، وعندما تشاهد الشمس في لحظات الغروب تشاهد الجمال بعينه حيث تختفي الشمس بلونها الأحمر خلف الجبل وتظل أشعته الذهبية مرسومة على السحاب، وعلى الرغم من بُعد المسافة بين مدينة المحويت وجبل حفاش إلا أنك تشاهد القصور العالية في قمته غير أن مشاهدة جبل حفاش من بعيد يختلف كثيراً عندما تقوم برحلة استطلاعية أو سياحية اليه حيث تصعد بسيارتك على طريق جبلي وعر وخطر للغاية، نظراً لأن تلك الطريق شقت من أسفل الجبل حتى قمته وشقت معظمها على الصخور الصماء في حين أن معظم تلك الطريق تم بناؤها بالأحجار الضخمة، نظراً لصعوبة التغلب على صخور الجبل العملاقة مما جعل تلك الطريق والمعروفة بعقبة بيت الشماع ضيقة جداً وكثيرة المنحدرات والمنعطفات ولعل أخطرها ملف أو معصر الآنسي حيث يسيطر عليك الخوف والرعب وما عليك إلا النظر أمامك دون النظر الى أسفل حتى لا تصاب بالدوار وبعد سفر مخيف ومرعب عبر تلك الطريق الوعرة تصل قمة الجبل غير مصدق أنك وصلت الى قمته التي هي أشبه بناطحات السحاب متناثرة على جنبات الجبل وفي رؤوس القمم الخطرة والوعرة لدرجة تبين لك عظمة الانسان اليمني صانع المعجزات وباني الحضارات، وتشاهد كثرة الحصون والأبراج التي بنيت للمراقبة وصد الغزاة وتطل بعينيك على جهات الدنيا الواسعة وتشاهد الجبال البعيدة والأودية المترامية الأطراف.

يعد جبل حفاش احدى مديريات محافظة المحويت وتقع في الاتجاه الغربي لمدينة المحويت على بُعد ٤٥ كيلومتراً، ورد ذكرها في العديد من كتب التاريخ وعرفها المؤرخ اليمني المعاصر «ابراهيم المقحفي» في كتابه (معجم البلدان والقبائل اليمنية) بأنها سلسلة جبلية في بلاد المحويت بالقرب من ملحان تنسب الى حفاش بن عوف بن عري بن مالك بن حمير الأصغر، ويحدها من الشرق جبل المحويت ومن الغرب جبل ملحان ومن الشمال مديرية الخبت ومن الجنوب مديرية بني سعد ويبلغ عدد سكانها (٤١,٤٤٤) نسمة موزعين على (١٢) عزلة وتضم (١٠٥) قرى وتبلغ مساحتها (١٧٩) كيلومتراً مربعاً.

## مركز بني دهمان

يبلغ عدد سكانه (٦٩٦٢) نسمة وتوجد بها مدينة الصفقين عاصمة المديرية وشاهد التاريخ الحي في هذه المديرية ومدينتها الحضرية الأولى وواحدة من أهم المدن السياحية الساحرة والأثرية الهامة في محافظة المحويت لما بها من قصور عالية ومبانٍ فريدة ومتميزة بجمال طرازها المعماري الأصيل وبقلعتها الشامخة والتي تقع على جبل الصفقين في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة القديمة والتي يعود تاريخها الى عهود ما قبل الأتراك.. اضافة الى البركة المائية المعروفة ببرك السوق والمبنية من القضاض..

في هذه المدينة يتكون تاريخ كامل لأجيال مضت وفيها نظمت أروع قصائد الشعر الحميني والذي برز من خلال العديد من الشعراء الشعبيين أمثال الشاعر/ مرعي وغيره ممن مضى على رحيلهم أكثر من قرن ونصف من الزمن.

## حصن القفل

يقع أعلى مدينة الصفقين من الغرب ويقع في رأس قمة جبل القفل ثاني أعلى قمة جبلية في المحويت والصعود الى هذا الحصن المنيع يتم مشياً على الأقدام عبر سلسلة طويلة من الطرق المرصوفة بالأحجار وفيه توجد الكثير من الآثار والمباني القديمة.. اضافة الى عدد من أحواض المياه المنقورة في الجبل وهو اضافة الى موقعه الشاهق يعد من أروع المنتزهات السياحية، فمن هذا المرتفع يمكن لك مشاهدة أرجاء واسعة من المناطق البعيدة من مديريات محافظة حجة والمحويت والحديدة ومن مراكز مديرية حفاش الملاحنة وعزلة الذاري وعزلة جبل نعمان وعزلة حماطة وعزلة بيت الشماع.

## النشاط الاقتصادي والاجتماعي

يعتمد سكان مديرية حفاش على الزراعة المطرية وتشتهر بزراعة محاصيل الذرة الرفيعة والدخن والذرة الشامية والبقوليات وبعض الخضر والفواكه والبن والقات.

ويوجد في المديرية العديد من المواقع الأثرية والتي تقدر بنحو (٤) معالم والتي يمكن أن تشكل مناطق جذب سياحي خاصة اذا توفرت الخدمات الأساسية، ومن أبرزها الطرق المعبدة والتي تعتبر مفتاح التنمية والتطور. أما عن المعالم الاسلامية لمديرية حفاش فيوجد بها ما يقارب ١٦٠ مسجداً منها ما هو حديث ومنها ماهو قديم.

## الطبيعة التي قهرت الطامعين

لقد كانت مدينة الصفقين الأثرية شأنها شأن كل المراكز الحضرية الأخرى ملتقى للقوافل العابرة ومحطات وقوف لأصحاب الحاجات والمنافع المختلفة من أبناء حفاش ومن أقصى جنوب بني سعد الى أقصى شمال الخبت، ثم مركز للحاميات التركية المرابطة على القمم العالية والحصون الحربية المنيعة في قمم حفاش وملحان والخبت، ولما تتميز به مديرية حفاش من طبيعة قاسية وحصانة طبيعية فقد ظلت عبر مختلف العصور محط أطماع الدويلات التي قامت في تهامة خاصة واليمن عموماً لما تتمتع به من تحصينات طبيعية هامة وما شيد فيها من الحصون والقلاع التي امتد تشييدها من عهد الحميريين وحتى نهاية الاحتلال التركي لليمن وسيطرتهم على حفاش ففي ظل هذه الدويلات المتعاقبة عاشت حفاش، عصوراً مختلفة وعاشت أحداثاً أسدل عليها الزمان ستاره مخلفاً بعضاً من المعالم البسيطة والأساطير المتداولة والتي من خلالها يستشف الجيل الحاضر شيئاً عن أجدادهم القدماء.

## الثورة التي كسرت أطواق العزلة

لقد حملت الثورة المباركة لهذه المديرية شيئاً كثيراً من العطاء الذي جعل منها حاضرة حية بعد أن كان أبناؤها يقاسون أشد العذاب والحرمان نتيجة وعورة الطبيعة وقسوتها وما خلّفه الأئمة الباغية من الفقر والجهل والمرض والعزلة.. ففي الماضي كان البعض من سكان القرى من أرادوا شراء بقرة أو ثور يشترونه عجلاً صغيراً حتى يتمكنوا من حمله على أكتافهم أو رفعه بالحبال من أسفل الجبل أو الحيد الى أعلى لاستحالة مرور حيوان كبير بحجم الثور والبقرة في تلك الشواهق والطرق الوعرة والصعبة وبعض القرى كان يتم الوصول اليها عبر الحبال، وهو ما فرض على هؤلاء العزلة التامة والبقاء في قراهم الصغيرة المعلقة في أعالي الجبال يقتاتون ما يزرعونه ويشربون ما تجرفه السيول من مياه الأمطار في آبارهم لا يدرون عن العالم شيئاً.

أما اليوم فقد أصبح الأمر مختلفاً بعد عطايا ومنجزات حكومتنا الرشيدة لهذه المديرية بقيادة الأخ/ علي عبدالله صالح - رئيس الجمهورية وغدت الحياة في مديرية حفاش شيئاً آخر من المتعة الحقيقية.

وعن ما تحقق لمديرية حفاش من انجازات ومشاريع يقول الأخ/ حمود حزام شملان - وكيل محافظة المحويت:

- تعمل قيادة المحافظة ممثلة بالأخ/ أحمد علي محسن - محافظ المحافظة على الاهتمام بتقديم العديد من المشاريع الهامة لمديرية حفاش كونها منطقة جبلية وعرة، ولعل من أبرز تلك المشارع مشاريع الطرق والتي تربط قرى وعزل المديرية ببعضها اضافة الى ربطها بباقي مديريات المحافظة حيث يبلغ طول شبكة الطرق للمديرية ١٠١ كيلومتر.. أما من الناحية التعليمية فقد بلغ عدد طلاب المديرية (١٠٢٢٢) طالباً وطالبة موزعين على (٥٠) مدرسة وبكادر تعليمي مقداره (٥٦٧) معلماً ومعلمة.. أما في مجال الاتصالات وعلى الرغم من الطبيعة القاسية والوعرة فقد غطت خدمات الهاتف أكثر من ٦٥٪، وبالنسبة للخدمات الصحية فيوجد مركز صحي في عاصمة المديرية يقدم خدماته الطبية اضافة الى وجود (٥) وحدات صحية موزعة على العزل.

وهناك مشاريع المياه والتي غطت معظم قرى المديرية مثل مشروع مياه بيت الشماع، وفي المجال الزراعي فقد بلغ اجمالي الأراضي المزروعة (٢٦٨٥) هكتاراً.

**مدينة الصفقين الأثرية كانت ملتقى للقوافل العابرة وتعد من المدن السياحية التي تتمتع بجمالها المعماري وقلعتها الشامخة**

**في مديرية حفاش أكثر من موقع أثري يمكن أن تشكل مناطق جذب سياحي إذا ما توافرت لها الخدمة الأساسية**

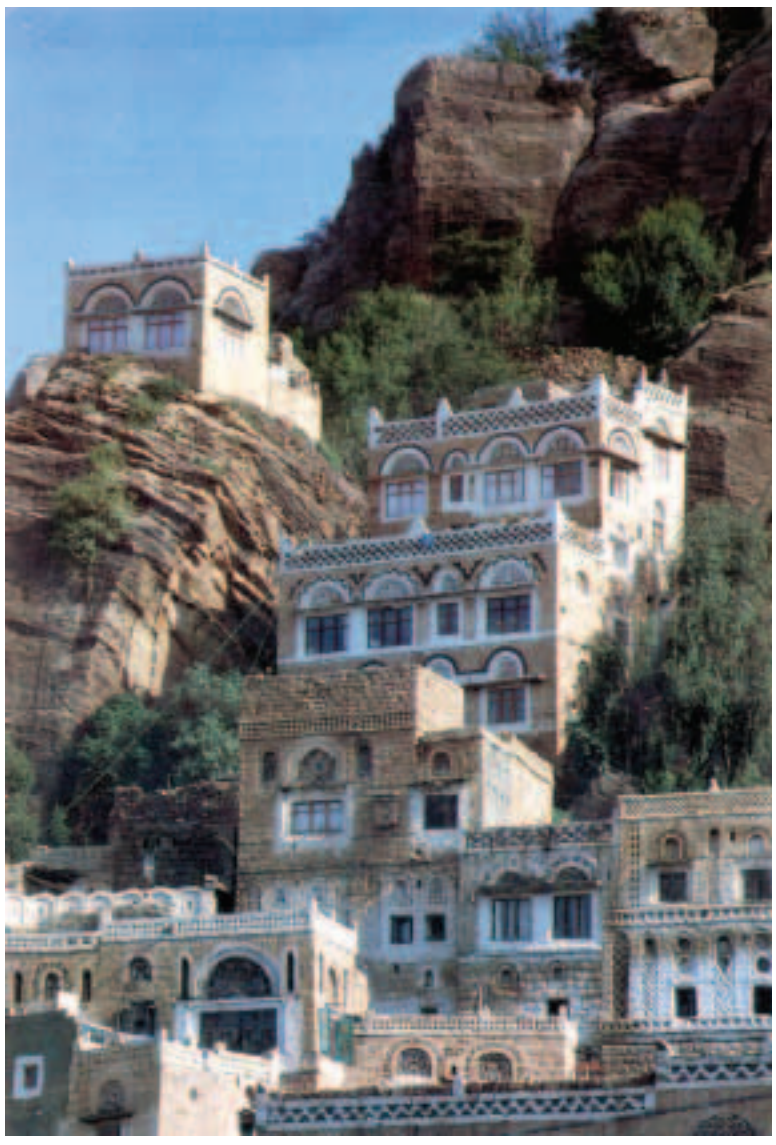

محسن محسن الجبري

● من تراثنا الثقافي في ريفنا اليماني عادات حميدة يجب أن نوثقها لأجيالنا المتعاقبة قبل أن تختفي من ريفنا اليماني بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة وعدم الاهتمام بكل ما هو جميل وحضاري في عاداتنا وتقاليدنا الحميدة.

بتوجيهات رئيس الجمهورية توجهنا إلى مناطق بني ضبيان الممتدة أراضيهم من محافظة صنعاء إلى محافظة مأرب، وقد كان السَّيْر والمرافق لنا الشاعر الكبير/ ناجي الحميدي، وذلك لنقل حلقات جديدة لبرنامج «صور من بلادي» من هذه المناطق التي كانت معزولة عن كل جديد طوال وجود الاستعمار في الجنوب، والإمامة في الشمال .. ومحرومة من كل المشاريع الخدمية: لا طريق، لا مدارس، لا كهرباء، لا وحدات صحية، لا مشاريع لمياه الشرب النقية، ولا مباني حكومية للمسؤولين في المديريات في المنطقة إلى أن جاء باني اليمن الجديد، رمز الوحدة الخالد الأخ المناضل/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية قائد مسيرة التنمية، وتم إنجاز الطرق الرئيسية والفرعية التي قضت على العزلة التي كانت مفروضة على مناطق بني ضبيان، وتم ربطها ببقية المناطق في طول وعرض الجمهورية وملك رجال بني ضبيان أحدث السيارات بدلاً عن الجمال وتم بناء المدارس للمراحل الثلاث وتم القضاء على الجهل والأمية وتم إيجاد الكهرباء في معظم القرى والوحدات الصحية ...الخ.

وعندما دخلنا إلى أراضي بني ضبيان اكتشفنا أنهم يستخدمون طلقات البنادق لعدة أغراض وكل فرد من أفراد بني ضبيان إذا سمع هذه الطلقات يعرف ماهو الهدف من إطلاق هذه الطلقات، فإذا كان الضيوف قد دخلوا إلى الساحة فلهم طلقات الترحيب بوصولهم وإذا كان هناك حرب فلها طلقات النكف، وإذا كان هناك مايسمى بالنصح فيعرف الكل طلقات النصح، وإذا كان هناك من يصدادون الغزلان والوعول والعُقب فيعرف الجميع طلقات الصيد وحتى الطلقات القاتلة معروفة عندهم .. باختصار أنهم يستخدمون الطلقات مثلما تُستخدم الاشارات اللاسلكية في كل مناطق بني ضبيان.

ومن العادات عندما يصل الضيوف إلى ساحة الاستقبال يقف المستقبلون في صف طويل الصغير والكبير ويقف الضيوف في صف مقابل لهم وترتفع الأصوات الطوال، ويقول كل مُصوّت من المستقبلين بأعلى صوته: «يامرحباً بكم، ويصيح بعده مصوّت آخر وتستمر الأصوات إلى أن يقول كبير الضيوف كفيتوا التلج»، وإذا لم يقل الضيوف: «كفيت التلج» تستمر الأصوات. ومعنى «كفيت التلج»: كفيت القول وقّفوا الأصوات لأن مقابل كل صوت يذبح رأس من الغنم.

ومن العادات عند استقبال الضيوف المحاولة حيث يقول المتكلم باسم الضيوف هل تسمحوا لي بالكلام باسمكم ويردون بصوت واحد بالموافقة ويبدأ الحال شعراً ونثراً يشرح كلمات الحال المهمة التي جاء الضيوف من أجلها.

وفي نهاية كلامه يقول: «وهذا علمنا وسلامتكم» .. ويتقدم من صف المستقبلين من يرد على «الحَال» بعد أن يستأذن أصحابه ويؤذن له فإن كان «الحَال» شعراً يجب أن يرد على البدّاع شعراً بنفس الوزن والقافية ارتجالاً ويرد على المهمة التي جاء الضيوف من أجلها.

وفي نهاية الرد على «الحَال» يقول: «ارحبوا حيًّا بكم»، ويشبّه «الحَال» التصريح الذي يدلي به كبار الضيوف في كل المطارات عند الاستقبالات الرسمية بين الدول وبعد نهاية مراسيم الاستقبال.

ومن العادات عند وصول الضيوف ضرب الأهداف التي توضع في ساحة الاستقبال بعدد الضيوف وعلى كل ضيف أن يُطلق على الهدف الخاص به ثلاث طلقات وإذا أصاب الهدف في الطلقة الأولى توقف عن إطلاق الطلقات المتبقية حتى يقوم الدوشان بمدح من أصاب الهدف شعراً ونثراً، ويجب على من أصاب الهدف أن يُكرم الدوشان، كما كانت تفعل الملوك والأمراء عندما تكرم الشعراء.

ثم يستمر الضيوف في ضرب الأهداف حتى تنتهي هذه العادة ويقوم المضيفون بلفّ السلاح أي أخذ السلاح من أيدي الضيوف وإدخالهم إلى أجمل البيوت المسماه بالخدود والمصنوعة بطريقة فنية من شعر الماعز الأسود المنقوش بشعر الضان الأبيض وبعد جلوس الضيوف على فراض الخدود الناعم يقدم للضيوف قهوة قشر البن اللذيذة والماء البارد وتبدأ محاولة أخرى داخل ديوان المضاف تختلف عن المحاولة التي في ساحة الاستقبال حيث تتم المحاولة بين كل فرد من المستقبلين وكل فرد من الضيوف ويبدأ كبير المستقبلين ويقول لكبير الضيوف: «كيف حالك»، الجواب: «لاحال بك شر طيب الحال». الجواب: «طاب حالك. كيف صحتك»، الجواب: «صحيت لاَهنْت حيًّا ذا اللَحْيَة»، الجواب: «حيًا لحْيَتَك عسى قَاعَكُم زيْنَهْ»، الجواب: «وزايد على الزّينة كيف حَوْشكْ من قَفَاك»، الجواب: «حَوْشي وحوْشك على خير».

وبعد أن تنتهي هذه المحاولة بين الصغير والكبير داخل الخدود تدخل الأطباق المصنوعة من العزف وفيها الجفان المصنوعة من المدد والمملوءة بمرق الكباش التي ذبحت للضيوف بموجب الأصوات الطوال ويتم توزيع الجفان من اليمين على الجالسين فرداً فرداً وبعد شرب المرق تدخل أطباق الكباش المحنوذة كاملة إلى بين أيدي الضيوف.

ومن العادات الحميدة في ريفنا اليماني (عادة الصائبة) وهذه العادة أصيلة أصالة المكرم اليماني للضيوف حيث يقول كبير الضيوف قبل أن يمد الضيوف أيدهم إلى مائدة الكرم اليماني يقول للمضيفين انزعوا أولاً الصائبة ويتم نزع أكبر قطع من لحم الكباش ثم يتناول الضيوف الطعام لأن اليمانيين الذي وصفهم الله عز وجل بالإيثار يؤثرون الضيوف على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، ولو سكت كبير الضيوف ولم يقل كلمته الصائبة كان أفراد أسر المضيفين من النساء والأطفال لم يأكلوا شيئاً، وكان الضيوف قد أكلوا كل شيء، كما كان يفر إليهم المهارون من مكة خوفاً من بطش قريش كما فعل رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وأبوبكر الصديق، رضي الله عنه، عندما فرا من بطش قريش، وهاجرا من مكة إلى اليمانيين في المدينة .. الذي كانوا يحبون من هاجر إليهم «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةً» .. كما وصفهم الله في كتابه الكريم لقد كان أجدادنا اليمانيون أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدّمون لمن هاجر إليهم كلما عندهم من الطعام والشراب، وكلهم في أمس الحاجة مع أفراد أسرهم للقمة الواحدة ويفرحون إذا شبع ضيوفهم من المهاجرين وهم جياع حتى وصفهم الله بقوله جل وعلا: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» صدق الله العظيم.

ولا يزال اليمانيون في ريفنا اليماني يحافظون على عادة إيثار الضيوف على أنفسهم إلى اليوم والعادات الحميدة في بني ضبيان خصوصاً وأريافنا اليمانية عموماً كثيرة سوف نتناولها في مقالاتنا القادمة إن شاء الله تعالى.